بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فيقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]،في هذه الآية يُخبر الله جَلَّوَعَلَا أنه ما أوجد الخَلْق من جن وإنس إلا لغايةٍ عظيمة ألا وهي توحيده وإفراده بالعبادة، وإن عبادة الله جَلَّوَعَلَا لا تتم إلا بالقيام بأصولها وتحقيق شروطها، والعناية بمقاماتها، بهذا بعث الله جَلَّوَعَلَا الرسل مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥].

ألا وإن من أجلِّ مقامات العبودية لله جَلَّوَعَلَا وأرفعها ذلكم المقام الذي يُكمِّل به الإيمان، وتُنال محبة الله، وبه يُستجلبُ عون الله جَلَّوَعَلَا

وتأييده، وبه يُرد كيد الشيطان، ويُحفظ المرء من وساوسه وتسلطه، مقامٌ من حقَّقه عزَّت نفسه، وقطعت الطمع إلى ما في أيدي الناس، مقام من أدَّاه كما أمر أورثه الله جَلَّوَعَلَا الطمأنينة في قلبه، والانشراح في صدره، والاستقرار في حاله، والسَّعة في رزقه، والبركة في عمره، والكفاية في أموره.

إنه مقام التوكل على الله جَلَّوَعَلَا، نعم التوكل على الله الذي هو الاعتماد عليه والثقة به في جلب المنافع ودفع المضار، يعلنه المسلم امتثالًا لأمر ربه ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[الرعد: ٣٠].

فمن توكل على الله جَلَّوَعَلَا واعتمد عليه في أموره فقد اتَّصف بصفةٍ من صفات الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ألسنا نقرأ قوله تعالى عن شعيبٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود: ٨٨]. ألسنا نقرأ ونتلو قوله جَلَّوَعَلَا عن هودٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾[هود: ٥٦].وهكذا الشأن في موسى ويعقوب وغيرهم من الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في تحقيق هذه العبادة وأدائها، ومن وثق بالله جَلَّوَعَلَا وتوكل عليه؛ أحبه ربه، وكفى بذلك شرفًا قال

جَلَّوَعَلَا:﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: ١٥٩].

إن تحقيق التوكل على الله جَلَّوَعَلَا علامةٌ على نفوذ الإيمان في القلب قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال: ٢]، يكفينا حثًّا على القيام بهذه العبادة القلبية أنها تُوصلنا إلى جنة الله جَلَّوَعَلَا والفوز بدار كرامته قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[العنكبوت: ٥٨].من هم؟﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[العنكبوت: ٥٩].إن تعدد الثواب، وتنوع الفضائل لهذه العبادة القلبية العظيمة التوكل فيه تنبيه العباد على ضرورة العناية بهذه العبادة واستصحابها في جميع الأمور الدنيوية والأخروية، إذ لا غنى للمسلم عن ربه طرفة عين، وأنَّى له ذلك، وأموره كلها بيد خالقه ومولاه جَلَّوَعَلَا.

نداءٌ إلى كل مسلمٍ صادقٍ في رضا خالقه وطالبٍ لجنته إذا أدَّيت أي عبادة من العبادات المشروعة فتوكل على الله قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[هود: ١٢٣]. إذا توالت عليك الابتلاءات واشتدَّت بك

الكُرب؛ فتوكل على الله قال جَلَّوَعَلَا: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة: ٥١].

إن عظمت بك -أيها المسلم- وساوس الشياطين وزادت عليك؛ فتوكل على الله فقد قال ربك:﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[النحل: ٩٩]. إذا دعوت إلى الله، ونصحت الناس، وأردت الخير الذي عرضته عليهم؛ فتوكل على الله وقل كما قال نوحٌ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾[يونس: ٧١]. إذا ابتليت -أيها المسلم- بأذى الخَلْق لك، وإساءتهم إليك؛ فتوكل على الله وامتثل أمر ربك في قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[النساء: ٨١].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم)[1] بل حتى إذا خرجتَ من بيتك لقضاء حوائجك فتوكل على الله واعتمد عليه وكِل الأمور إليه، فقد قال نبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ

(١) بدائع الفوائد (٩٣٢/٢).

فَقَالَ: بِاسْمِ اللهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ قَالَ : يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ ، فَيَقُولُ شَيْطَانٌ آخَرُ : كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ »[٢].

إذا سعيت -أيها المسلم- في طلب رزقك فتوكل على الله جَلَّوَعَلَا، فبه تُضمن الأرزاق.

ألم يقل صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ».

وقِفوا عند قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «حَقَّ تَوَكُّلِهِ».

ما هي الثمرة؟ «لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا»[٣]. وهكذا في كل حال وفي أي أمر فليكن شعارنا كما قال ربنا: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

وإن من أحكام عبادة التوكل ومسائلها التي لابد للمسلم من العلم بها أنها تقوم على أصلين:

❖ الأصل الأول: القيام بالأسباب وبذلها.

❖ والأصل الثاني: الاعتماد بالقلب على المسبِّب وهو الله جَلَّوَعَلَا واعتقاد أن تحقيق التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب المباحة أو المشروعة، فإن الله جَلَّوَعَلَا أمرنا بتعاطي الأسباب مع أمره

(٢) أخرجه وأبو داود (٥٠٩٥)
(٣) أخرجه الترمذي (٤٤٣٤)

بالتوكل.

فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعةٌ لله جَلَّوَعَلَا، والتوكل بالقلب على الله إيمانٌ وقربةٌ له جَلَّوَعَلَا؛ لذا قال نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مقررًا الأصلين المذكورين: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ»[٤].

«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ». هذا فيه الإرشاد إلى بذل الأسباب والقيام بها.

«وَاسْتَعِنْ بِاللهِ». هذا فيه التنبيه على ضرورة استصحاب التوكل على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى والاعتماد عليه.

من أراد تحقيق التوكل على الله فعليه بالدعاء وسؤال الله جَلَّوَعَلَا أن يمنَّ عليه بالتوكل عليه، وأن يوفقه لتفويض الأمور إليه، وقد أرشدنا نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى أن نقول دُبر كل صلاةٍ طالبين من الله جَلَّوَعَلَا التوكل في القيام بالعبادات: « اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ »[٥].

من أراد تحقيق التوكل على الله فليكثر من قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله). فإنها كلمة فيها استعانة بالله، وتوكُّل عليه، واستسلام

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٦٤)
(٥) خرجه ابن خزيمة في صحيحه (٧٥١)

له، ولهذا قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأبي هريرة: « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ ؟ تَقُولُ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ »[٦].

ومن تأمَّل في فضائل التوكل على الله وثماره؛ قويت نفسه على أداء هذه العبادة، والاجتهاد في تحقيقها، ويزداد هذا الجد إذا نظر المرء إلى سيرة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وحياة أصحابه مع هذه العبادة، فقد كانوا عجبًا في تحقيقها، فعلينا أن نقتدي بهم، وأن نسير على منهاجهم قولًا، وعملًا، عقيدةً، وعبادة، ومعاملة، فهذا والله هو طريق الفلاح، وهو سبيل الفوز عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فاللهم ارزقنا حُسن التوكل عليك، وتفويض الأمور إليك يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(٦) أخرجه الحاكم في مستدركه (٥٥)

سلسلة طوبات شبكة بينونة

ربنا عليك توكلنا

الشيخ يوسف بن حسن الحمادي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net